مكتبة المقتطف

رباعيات عمر الخيام

بقلم توفيق مفرج — ١٢٨ صفحة بالالوان

منذ أكثر من خمس عشرة سنة أخرج الأستاذ توفيق مفرّج كتابه « آلام وأحلام » الذي ضم مجموعة من خواطر المؤلف أرسلها شعراً منثوراً في نغم متساوق وعاطفة جياشة ، وكان لي نصيب الاشادة بذلك الكتاب في هذه المجلة وقتذاك ، ثم مضت الأعوام والأستاذ توفيق مفرّج في عزلة عن قرّائه حتى طلع عليهم أخيراً بكتاب جديد عن رباعيات عمر الخيّام . طبعه على ورق جميل بالألوان وزينه بواحد وثلاثين رسماً عن حياة عمر الخيام.

وليس الكتاب ترجمة لرباعيات الخيّام ، وإنما اتبع المؤلف فيه غير ما اتبع كثير ممن نقلوا إلى العربية هذه الرباعيات سواء من الانجليزية أو الفارسية ... فقد درس المؤلف فلسفة الخيام دراسة تعمق واستوعب في نفسه هذه الفلسفة والاتجاهات الخيّامية ثم خرج من الجو الخيّامي بروح ونغم جميل .

فهو قد وضع رباعيات الخيّام من خلال فلسفة الخيّام ، شرب كأسه فاستطاع أن يؤلف من النشوة التي أخذ بها أناشيد جديدة فيها خمر معتقة قديمة ، لها جمال الجديد في تصويره وجلال القديم في تعبيره. ولقد قال في المقدمة النفيسة التي صدّر بها تلك الرباعيات :

« لقد درست الفارسية خصيصاً لأستعين بالأصل الفارسيّ ، ثم استعنت بالوضع الانكليزي ، الذي وجدته بعيداً كل البعد عن الأصل الفارسي . . . إني لم أترجم عمر الخيّام ترجمة حرفية ، ولم أتحرّ الكلمات والجمل ، ولم أحرص على مراعاة الأصل ، بل أخذت المعنى ووضعته وضعاً جديداً ، حتى إذا شئت أن تعود به للأصل الفارسيّ فقد لا تجد تقابلاً أو تقارباً أو تعاشقاً بين الأصل والفرع »

« لقد نزعت عنها الثوب الفارسيّ ، وألبستها بالعربية روح الخيّام الشاعر الفيلسوف . لقد سكبت روح عمر الخيّام في روحي ، ومزجت نفسه في نفسي ، وأطلقت روحي إلى الحياة من ذات النافذة التي أطلت روحه منها » .

هذه هي الطريقة التي انتهجها الأستاذ ثروت مفرّح فأحسن النهج ووفّق في الوصول إلى أفق الخيّام ، وشرب من كأسه فانتشى ، ولم تأخذه النشوة الساحرة دون أن يستطيع التعبير الصادق عن تلك الروح التي فتنت الكثيرين وخلدت في آداب الأمم فلسفة وشعر خالدين على مرّ الزمان . وإنا لنعتد صدور هذا الكتاب فتح جديد في اللغة العربية .

ويكفي تقريظاً للكتاب الرسالة التي أرسلها رفعة النحاس باشا إلى مؤلفه بعد اطلاعه عليه وهي منشورة على غلافه الخارجي .

حسن كامل الصيرفي

صور من التاريخ العربي

للاستاذ نقولا زيادة . ٣٠٤ صفحات . دار المعارف في القاهرة .

تحضرني وأنا ماضٍ في الحديث عن كتاب (صور من التاريخ العربي) كلمة ذكرها فيلسوف الفريكة المرحوم أمين الريحاني يوم جاس ديار نجد باحثاً منقباً ، وعندما حملته الركائب إلى (القاع) في قصيم نجد قال رفيقه (بداح) .

« والله يا هذال ان بلاد نجد عجيبة » فأجابه (هذال) بقوله : وأعجب منها يا بداح نحن الذين نعرف ما فيها ! »

والواقع أننا كأمة ناهضة تتشوف الى الاستقلال ، وتصبو الى تحطيم الأغلال ، وتتطلع إلى فجر يوم جديد مقصرون جدًّا في معرفة أحوال بلادنا والوقوف على الأحداث التاريخية التي مرت بها ، وعلى النقيض منا الغربيون فهم قوم يختلفون عنا بمتاحفهم القائمة ببيوتهم ومدارسهم ، إذ يوجهون النشء إلى مدارسة البيئة وما يلابسها ويصدر عنها ، ولهذا الغرض حينه تعنى المدرسة والأسرة الغربيتان بتنظيم الرحلات العلمية فيطوف الطلاب الناشئون في البلاد عرضاً وطولاً ، يتلمسون أخبارها ويستروحون آثارها ، ويتدارسون معالمها وعادات سكانها في مختلف نظم الحياة ، بينما نحن معاشر العرب ندعو إلى امبراطورية عاملة ونهتف باسم مصر والسودان ، ولبنى وعمان ، ونسعى الى تحرير طرابلس ومراكش من ربقة الاجنبي دون أن يعرف أكثرنا أين تقع طرابلس ! وفي أي الأقاليم تقع تونس !

ولكن الأستاذ نقولا زيادة هذا الشاب الفلسطيني الواعي زاد بقاع سوريا الطبيعية ساحلاً وداخلاً ، وعقد الفصول الضافية عما شاهده في رحلاته الممتعة من آثار بعلبك وتدمر وجرش والبتراء وأماكن تاريخية لها قيمتها الاستراتيجية في تاريخ العرب وفتوحهم كالسهول التي جرت فيها معارك (مؤته) و (اليرموك) و (حطين) و (عين جالوت) وضمنها في كتاب أخرجه للناس تحت عنوان « صور من التاريخ العربي » قال في مقدمته :

« أيها القارىء الكريم ! في التاريخ العربي قامات فنّ داخلوها ، وسبق فنّ صاوفوه ، وزوايا فنّ والجوها ، وفي هذه القامات والسبل والروايا خير كثير ، لو أتعبها الناس . وهذه الصور التي أقدّمها لك هي ثمرة جهد بذل في سبيل التعرّف إلى تلك النواحي المبحورة من تاريخنا !

ولقد لقيت في جمعها متعة ولذة ، رأيت أن لا أحرمك منهما ، وآمل إن أوفق إلى إثارة رغبتك في الكشف عن صور مماثلة لها وما أكثرها . . . ! »

وفصول الكتاب رحلة هذية الفوح ، معطرة الجنبات ، نظم عقدها الأستاذ زيادة وراح يتنقل بالقارىء من فن إلى فن ، ومن أيكة إلى أخرى ، فهو يقف بك في مدينة انطاكية ، ويسير بك إلى كنائسها الجميلة المزخرفة بالفصّ المذهب والزجاج الملوّن والبلاط المجزّع ثم يصطحبك إلى أسواقها المتطلبة ومبانيها الجميلة وينابيع مياهه إلى حلب الشهباء عاصمة بني حمدان فيصفها وصفاً مغريًا مستحبًّا ! ويسير إلى دمشق المدينة الخالدة خفيفاً طائراً ، ويحط عصا تياره في ندوة طليعها الشهير البيرودي فيجد الحديث قد دار حول الخصال المفروض توفرها في الشخص الذي يود ان يكون طبيباً ، وبعد أخذ ورد في أصول الموضوع وفروعه يغادر الرحالة الفلسطيني ندوة البيرودي الى مؤتمر مدرسين عقد في أحد أبهاء دمشق ، وفيه دار حديث هادىء ونقاش مستمر حول الغايات التي يجب أن يضعها المعلم والمتعلم نصب أعينهما ، وما هي الاّ لمحة عابرة حتى ترى المؤلف قد هبط القاهرة وحضر جلسة عقدت في مسجد السلطان حسن اقتصر فيها البحث حول (كاتب الديوان) والشرائط التي يتحتم توفرها فيه .

وكانت إحدى الصور النفيسة التي طالعنا المؤلف بها عزلة الامام الغزالي في بيت المقدس وحلقات الوعظ التي كان يعقدها في المسجد الأقصى المبارك ، وكان من همة الاستاذ زيادة أن شد الرحال الى أبرز الأماكن الأثرية في بلاد العرب ، وراح يحدثنا بلباقة المؤرخ الخبير وأسلوب المحقق المعتدل ، عن صلة كل موضع زاره بالفتح الاسلامي الأول ورجاله الغر الميامين الذين كونوا من هتات البدو دولة ، ونفثوا من جوف الصحراء حضارة ، ونفخوا في قلوب العرب من روح الله ، فطمحوا الى ملك كسرى وهم جياع ، وصبوا الى عرش قيصر وهم عراة ، وصمدوا لحكم العالم وهم حفاة !

وفي آخر فصول الكتاب يطالعك المؤلف بصفحات مطوية من تاريخ العرب تناول فيها عفو معاوية ودهاءه في استقبال نسوة من العرب ناصبنه العداء في سبيل نصرة الامام علي ، وحلم المأمون الى آخر هذه اللوحات الزاهية من صور السلف الصالح !

هذه إلمامة عابرة عن كتاب يريد في تاريخ العربي واعتزازه بأمته ومفاخرها عندما يقلّب صوره ، ويتلو فصوله ، ويستعرض لوحاته ، وموصلاً للهدف القومي الذي يرمي إليه الأستاذ زياده في مؤلفه النفيس أقول لإخواني من الشباب العربي المثقف : تعالوا سيحوا مع المؤلف ليبدّ لكم حقائق تقلها العربي عنا ملتوية مشوّهة ! وسيروا مع هذا الشاب العربي المؤمن إلى بلاد انبثق منها نور النبوءات والمكرمات تروا أنكم أحفاد شعب طيب صار في ركب الحضارة قدماً فكان المجلي الموهوب .

(بيت المقدس — فلسطين) البروى الملتم

ثلاثة دواوين

١ — ليالي الشاطئ : للاستاذ مصطفى عبد الرحمن — القاهرة
٢ — العرائس : للاستاذ ابراهيم العريض — البحرين
٣ — وابل وطل : للاستاذ يعقوب ابراهيم صروديا — بغداد

قبل أن نتكلم عن هذه الدواوين الثلاثة ألم في سطور قليلة بمدارس الشعر ومذاهبه منذ فجر نهضته الحديثة مستخلصين من تلاحم هذه المدارس واختلاطها بعضها ببعض خيوطاً تحدد لنا المعالم بوجه التقريب . وقد نكتفي بخيط واحد عن خيوط كثيرة .

كان سامي باشا البارودي هو الفجر الرائع لأحياء الشعر العربي القديم بروعته وجزالته ، ثم تلاه شوقي وحافظ والزهاوي ومطران . . . .

وقد كان شوقي أعلاقة تمخضت عنها المدرسة القديمة وكأنما وضعت تلك المدرسة كل عبقريتها في شوقي لتتحدى به الأجيال ، بل لقد تحدى شوقي المدرسة الحديثة بشمليانه الشعرية وكما اختتمت العصور الوسطى أروع ختام بفكسبير ومؤلف (دون كيشوت) كذلك انتهت المدرسة القديمة بموت شوقي انتهاء رائعاً كما تغرب الشمس وسط أبدع مشاهد الغروب .

أما المدرسة الحديثة فنجد بذورها عند مطران وعبد الرحمن شكري متأثرة أحياناً برواد الشعر في الشام والمهجر . فعمل شعر مطران نفاً ناجي وعلي طه وأبو هادي وللأخير فضل التوجيه أكثر من فضل الانتاج على المدرسة الحديثة ، إذ أنشأ مجلة الشعر المعروفة باسم « أبولو » التي كانت معرض نتاج هذه المدرسة من الشعراء المحدثين أمثال الهشري وصالح جودت والصيرفي والشابي (أبو القاسم الشابي) .

أما شكري فقد أنشأ مدرسة قوامها العقاد والمازني — الذان وضعا بنقدهما الأساس الصحيح لتذوق الشعر الحديث ، وكما كان مطران عماد مدرسة بأكملها تقريباً فقد جاء العقاد

عماد مدرسة على حدة تمتاز بتعمق الفكرة وتتبعها و ستقصائها دون العناية الواجبة بالمظاهر الشعري (Emotion) ما دام المعنى جديراً بالقول موسوماً بالابتكار وتعتبر ملحمة العقاد (ترجمة شيطان) أبدع مبتكرات تلك المدرسة وقد انتظمت هذه المدرسة تقريباً جميع شعراء دار العلوم .

والدواوين الثلاثة التي بين أيدينا هي صدى من قريب أو بعيد لهذه المدارس المتنافسة في مصر والبلاد العربية، وهي برهان على أن الأقطار العربية تعيش في جوّ ثقافي واحد رغم تقسيمها السياسي .

أما أولها وهو ديوان (ليالي الخالدي) فهو امتداد لمدرسة الهمشري وناجي ولكنه مطبوع بطابع خاص هو الطابع الفلسطيني . وإذا قلنا أن كتاب الأغاني يحوي طائفة من الأشعار تتميز بطابع خاص عن بقية الشعر العربي فان ديوان ليالي الخالدي لأقرب إلى الرقة الغنائية من أي ديوان آخر، إسمعه يقول :

آه لو تسمعني أشكو الجوى ياحبيبي آه لو تسمعني
وترى القلب ونيران الهوى ولظاها بات يرعى بدني

ثم يقول : —

أيها الخالدي قد طال بنا أمدُ البعد ولما نلتقِ
أين أيامٌ قضيناها هنا مشرقات من سناك المشرق !
أتعودين مع العفو لنا راقصات يا ليالي الزورق ؟!

* * *

أما ديوان العرائس للأستاذ ابراهيم العريض فيذكرنا بشاعرين من نبغاء الشباب هما أبو القاسم الشابي والتيجاني يوسف بشير ، وشعر هذا الديوان مع ما تركه هذان الشاعران ثروة ومعين لا ينضب لمدرسة الشعر الحديث . وفي ديوان العرائس نجد الصور الجميلة الفاتنة والمعاني المتدفقة النابضة تختال أحياناً وتتراقص أحياناً في أنغام غاية في العذوبة ، وجمال الإيقاع . ولا يمكن أن تسمع أو تقرأ قصيدة من هذا الديوان دون أن تحس بأحساس يرفعك عن مستوى الأرض إلى دنيا الجمال السامي، بينما تسترخ روحك شجناً دفيناً في الأعماق. إسمعه يناجي إبنته :

طيبي يا ليلاي نفساً فانهمي ليس كالشاعر في الناس مُمنّى
هو من أحلامه في جنّة فإذا حدّث عنها قيل جُنّا

كلنا طائره في قفصه إنما يُطلقه المحدود منّا
لو درى الضاحك في سكرته أنه يشرب دمعاً لتأنّى !!

ومن غزله الرقيق :

أريني ناظريك فما سحا قلبي بإدمانه
لأسيرُ فيهما غير المحيط وراء شطآنه
وخلّي خدك الورديّ يفتنني بألوانه
لأنثر فوقه قبلاً وأملؤه بعض فيرانه !!

* * *

أما ديوان «دوابل وطل» فرغم أنه وصلني من بغداد وان شاعره يعيش في العراق فانك لو جهلت شاعره ومنبته لنسبته الى شاعر في مصر أو الشام ، فرغم أن بغداد كان يجلجل فيها الى عهد قريب شعر الزهاوي والرصافي عليهما رحمة الله . ورغم أن المذاهب الشعرية هناك لا تتصارع بالصنف التي تتصارع به في مصر والشام الاّ أن ديوان «دوابل وطل» قدم لنا برهاناً قاطعاً على أن التطور الشعري ينتظم الاقطار العربية كلها ، وان البراعم المنثورة في هذا الديوان هنا وهناك ، والحنان والانفعال المغبوبين بين الابيات والمقاطع ، تجعلنا نأمل خيراً في هذا الشاعر ، ولسوف يطلع علينا بديوانه التالي وقد تفتحت أزهاره وورودة عن أريج يعطّر أرجاء الأقطار العربية فضلاً عن العراق .

ومن صوره الشعرية :

ملأت يدي اليمنى بلؤلؤ أدمعي وقلبيَ في يُسرى يديَّ ذبيحُ

ومن شعره المفعم بالحنان :

يا زهرات البنفسج العطِر بالله لا تسأمنّ من سهري
قد صفت دمعاً بليلتي وبذي الكواكب الزاهرات والقمر
قد ثقلتْ وحدتي عليَّ وقد جدّدتْ الذكريات لي حزني
ما أروع الذكريات حافلةً تشغلني في اصطخابها الحسن
تذبُ فيها الحياة في صور تفرحني تارةً وتحزنني ...

وانا نلاحظ على هذه الدواوين ندرة أشعار المديح والمناسبات وهذا مما يفعم نفوسنا لأمل والغبطة إذ نرى ما نادينا به منذ سنوات في ديواننا [أفاريد] قد استجابت له أنفس كثيرين من الشعراء في الأقطار العربية ، وأننا لسعداء اذ نجد اخواناً يشاركوننا نفس الآمال والمشاعر في كل قطر عربي .

محمد فريد

فهرس الجزء الثالث

من المجلد العاشر بعد المئة

١٦٣ التعليم والتربية : اسماعيل مظهر

١٦٧ النظائر وكيمياء النواة : جريس الشرايحه

١٧١ الزادار كيف يشتغل : نقولا الحداد

١٧٦ النار (قصيدة) هاشم البراري

١٧٧ الأدب الرخيص

١٧٩ احمل قلمك واتبعني ! : عيسى ابراهيم الناعوري

١٩١ الحضارة واختلاف الطبائع : ع . ش .

١٩٥ العلامة اللغوي الأب انستاس ماري الكرملي : محمد فاتح توفيق

٢٠١ كيف تحفظ صحتك — عيناك : فهمي عطا الله

٢٠٢ أنغام باكية (قصيدة) : عفيفي محمود عفيفي

٢٠٣ الحرب والسلم : جريس القسوس

٢١٩ طمأنة (قصيدة) : محمد فهمي

٢٢١ القدر : تأليف ج هلر : ترجمة عبد المنعم صادق

٢٢٦ سكرة الموت (قصيدة) للشاعر الفرنسي سولي برودوم ترجمة ج. توفيق نهرا

٢٢٧ باب الاخبار العلمية * من معجزات العلوم والفنون (١) تسخير الهواء ومنافعه (٢) قطرة تستخرج الدم . (٣) التخاطب بأشعة مادون الاحمر (٤) جهاز رائد لاسلكي يصلح للارشاد في جميع الاجواء (٥) سائل سحري يمحو النمو البدني (٦) سر اكتشاف قاتل سوس القمح (٧) الجهاز المسجل للحديث التليفوني : عوض جندي

٢٣٦ مكتبة المقتطف * رباعيات عمر الخيام : حسن كامل الصيرفي . صور من التاريخ العربي : البدوي الملثم ، ثلاثة دواوين (١) ليالي التناضي (٢) العرائس (٣) وابل وطل : محمد فهمي

لحق

١ — ٤٨ المسرحية عند شوقي : تأليف محمود حامد شوكت